عن التداولية

خولة طالب الابراهيمي

التداولية/ المصطلح

أول من استعمل هذا المصطلح في اللغة العربية (الذي يقابل في اللغة الفرنسية Pragmatique وفي اللغة الإنجليزية Pragmatics) هو الأستاذ أحمد المتوكل أستاذ بكلية الآداب بجامعة محمد الخامس بمدينة الرباط بالمملكة المغربية ويبدو أنه لقي استحسان المختصين وأصبح متداولا (عذرا عن التكرار غير المتعمد).

يندرج مقالنا في إطار الدراسات اللغوية المعاصرة (في المجال الغربي) حيث تمثل التداولية توجها مهميمنا في السنوات الأخيرة. وزيادة للفائدة نقدم ملحقا بنصنا يتضمن بيبليوغرافيا موجزة لأهم النصوص التي نشرت وتتناول موضوعا متعلقا بالتداولية.

مثل التحضير لهذه المداخلة مناسبة لمحاولة جمع شتات ميدان هو في صدد البلورة، ميدان عرف تطورا كبيرا منذ الستينيات في البلدان الانجلوسكسونية ثم استفحل في المجال الفرنسي في الثمانينيات.

ولعلنا مضطرين، عند تناول موضوع جديد بالنسبة للميدان العربي، للوقوف عند المصطلح لنقول أن ما نورده في هذه المداخلة يعتبر في مجمله اجتهادا خاصا ساعدنا فيها بعض الزملاء ونقر بكل تواضع أن هذه المصطلحات لاتزال غير مستقرة وعرضة للمراجهة، نقدم في آخر المداخلة قائمة بأهم المصطلحات التي استعملناها.

التداولية/ المفهوم

يقول موشلار Moeschler (أنظر البيبليوغرافيا المرفقة) أن التداولية تهتم باللغة عند استعمالها أي استعمال اللغة أو الاستعمال اللغوي.

تعنى التداولية إذن بدراسة الاستعمال (الصفحة 17 من نفس المرجع).

وإذا كنا نتحدث عن الاستعمال اللغوي فإن هذا الاستعمال ليس حياديا، نلمس آثاره ليس على مسار التبليغ فحسب بل على النظام اللغوي نفسه.

يبدو بديهيا أن نلحظ أن بعض الوحدات اللغوية لايمكن أن تؤول إلا في سياق التلفظ بها كالمبهمات مثلا أي أسماء الإشارة والموصول والأسماء المضمرة أي الضمائر وكل هذه الظواهر لا تكتسي قيمتها إلا عند إدراجها في الحديث لتمثل أحد عناصر الوضعية الخطابية.

أقل بداهة أن نقول أن استعمالنا للبنى اللغوية ينتج برجوع عكسي بصمات معينة تؤكد أن الاستعمال اللغوي أو بالأحرى يمكن أن تطبع علاماته النظام اللغوي نفسه.

أما منقونو (أنظر قائمة المراجع المرفقة) فيرى أن مفهوم التداولية يحيل في نفس الوقت إلى فرع من فروع الدراسة اللسانية وإلى تصور معين اللغة

نفسها وللتبليغ اللغوي يناقض تماما التصور البنوي حيث أن التوجه التداولي يخترق كل العلوم الإنسانية فلا يمثل نظرية بعينها بقدر ما يمثل نقطة لقاء لمجموعة من التيارات تشترك في بعض الأفكار الأساسية والرئيسية.

والتداولية من جهة أخرى تشير إلى مكون من مكونات اللغة إلى جانب المكونين التركيبي والدلالي، في المكون التركيبي تدرج العلاقات التي تربط الدوال اللغوية بعضها ببعض في حين أن المكون الدلالي يصور العلاقات التي توصل هذه الدول بالواقع وهو مرجع الدلالات (المعاني) بظروف استعمالها وآثار هذا الاستعمال على البنى اللغوية.

أما إيليوار Eluerd (أنظر البيليوغرافيا المرفقة) فيشير أن التداولية إطار معرفي يجمع مجموعة من المقاربات تشترك عند معالجتها للقضايا اللغوية في الاهتمام بثلاثة معطيات لها دور فعال في توجيه التبادل الكلامي وهي:

- المتكلمين (المخاطب والمخاطب)
- السياق (الحال/ المقام)
- الاستعمالات العادية للكلام (أي الاستعمال العفوي للكلام)

في الواقع، ينبغي أن نسجل أن التداولية نشأت كرد فعل للتوجهات البنوية فيما أفرزته من تصورات صورية مبالغ فيها خاصة عند اللساني الأمريكي تشومسكي Chomsky وأتباعه وكذلك اللغو في الاعتماد عند وصف الظواهر اللغوية على التقابل المشهور الذي وضعه دي سوسور De Saussure بين اللغة والكلام حيث أبعد الكلام وهو الذي يمثل الاستعمال الحقيقي للغة من دائرة اهتمام اللغويين واقتصرت الدراسة على بنى اللغة ونظامها.

وإن يبدو حسب إيليوار، أن اعتبار دور المتكلمين والسياق والكلام العادي في التحليلات اللغوية يشعرنا بنوع من القلق والاضطراب نظرا لصخب الحياة آثار المسارات التاريخية والممارسات الفعلية والحقيقية للغة فهذا هو، في نظره

الثمن الذي يدفعه من يريد أن يدرس اللغة في حقيقتها فلا توجد ثمة لغة مثالية أو لغة بدون تجسيد حقيقي يشوبه مايشوب الحياة من صخب واضطراب.

التداولية/ النظريات

قلنا في استهلال هذه المداخلة إننا نحاول جمع شتات ميدان معرفي وفعلا نجد أن مجال التداولية أو التيار التداولي يغطي مجموعة من التوجهات في البحث تتجاوز حدود اللسانيات السوسورية والبنوية نذكر من بينها:

ـ سيميوتيكا بيرس La sémiotique de Pierce

التي من خلالها يدعو بيرس[1] إلى تناول الدليل اللغوي في أبعاده الثلاثة حتى وإن كانت في الواقع موجودة مجتمعة في كيان واحد فإن ضرورة التحليل تقتضي فصلها للدراسة، نجد إذن:

– **أولا البعد التركيبي** حيث يتناول الدليل في نفسه فهو بهذا الاعتبار مجرد دال كامل غير معين وغير مختص فإذا أخذنا مثلا الأحمر الذي هو صفة في المطلق نجد أن دلالاته عديدة فقد يدل على اللون أو علامات الوقوف بالنسبة للمارة أو السيارات أو على الغضب عند احمرار الوجه... إلخ

– **ثانيا البعد الوجودي** أو الدلالي (المعنوي) حيث يربط الدليل بما يدل عليه وهذه العلاقة تقتضي أن العلاقة موجودة.

– **ثالثا وأخيرا البعد التداولي** حيث ينظر إلى الدليل من خلال العلاقة التي تربطه بمسؤوله فيصير الدليل بذلك قانونا عاما في عالم التبليغ والدلالة.

ـ نظريات الحديث Les Théories de l'énonciation

أشهر من نظر لها اللغوي الفرنسي بنفينيست Benveniste[2] حيث أكد على ضرورة التمييز بين اللغة كسجيل من الأدلة ونظام تتركب فيه هذه الأدلة واللغة كنشاط يتحقق من خلال وقائع الخطاب التي تخصصها علامات

خاصة، تلك العلامات التي يسميها بنفينيست المؤشرات ودورها يكمن في تصيير اللغة خطابا فعليا.

هذا التصيير الذي يسمى عنده الحديث L'énonciation أو التلفظ أي إجراء اللغة وتحقيقها من خلال فعل كلامي فردي.

نعتبر شخصيا أن المساهمة الأساسية لهذه النظريات والتي غيرت نظرتنا للغة تكمن في إبرازها للحقيقة العاكسة (بفعل المطاوعة) لكل كلام حيث أنه يحيل إلى العالم وفي نفس الوقت إلى الفعل الكلامي الذي تؤديه تلك الأفعال التي يهتم بهاه إتجاه آخر يمكن أن يدرج ضمن التداولية وهو المتمثل في نظرية أفعال الكلام.

ـ نظرية أفعال الكلام La Théorie des actes de parole

ترجع هذه النظرية في أول عهدها إلى أعمال الفلاسفة الإنجليز أمثال أوستن Austin[3] وقد بين أن اللغة ليست بنى ودلالة فقط بل هي أيضا فعل كلامي ينجزه المتكلم ليؤدي به أغراضا فهو عمل يطمح من خلاله أن يحدث تغييرا معينا في سلوك مخاطب (ي) ه إن بالفعل أو بالكلام.

فالكلام بهذا الاعتبار كما تقول كربرات ـ أوريكيوني Kerbrąt-Orrechioni[4] هو عملية تبادل للأخبار دون شك ولكنه أيضا فعل مضبوط بقواعد دقيقة يزعم تغيير حال المخاطب وتحويل نظام معتقداته و/أو مواقفه السلوكية وبالمقابل فهم الكلام وإدراكه يعني تشخيص مضمونه الإخباري وتحديد غرضه التداولي أي قيمته وقوته الإنجازية.

ففعل الكلام في منظور هؤلاء يتكون ممايلي:

ـ فعل لغوي إن صح التعبير Acte locutoire كأن نقول لاتكذب؛

ـ فعل إنجازي وهو الذي يزعم التغيير Acte Illocutoire وهنا في مثالنا النهي؛

- فعل علائقي يتمثل في رد فعل المخاطب للنهي بالاستجابة أو العصيان Acte Perlocutoire وقد وسّع سورل Searle [5] نظرية أفعال الكلام فأوضح لكل فعل شروط إنجازه وميز كذلك بين الأفعال المباشرة والأفعال غير المباشرة في مؤلفه المشهور الذي نعتبره من أهم المراجع في الموضوع (أنظر القائمة المرفقة).

ونجد، في الأخير، مجموعة من التحليلات اللغوية تندرج ضمن الدراسات التداولية تهتم بالخطاب بصفته نصا تحده قواعد معينة سواء أكنا نهتم بالمحادثة أو بالمحاجة أو بالنصوص بمختلف أنواعها فتطورت منذ سنوات قليلة دراسات يمكن أن تدرج كلها فيما يسمى اللسانيات النصية.

ولاختتام هذه المداخلة، نود تقديم هذه الرسوم البيانية ليتضح أكثر المجال الذي نرجو أننا وفقنا في محاولة تقديمه للزملاء والطلبة الأفاضل: هذه الرسوم مقتبسة من مؤلف موشلار المذكور أعلاه

اللسانيات/ التداولية
تباين في التوجه والموضوع

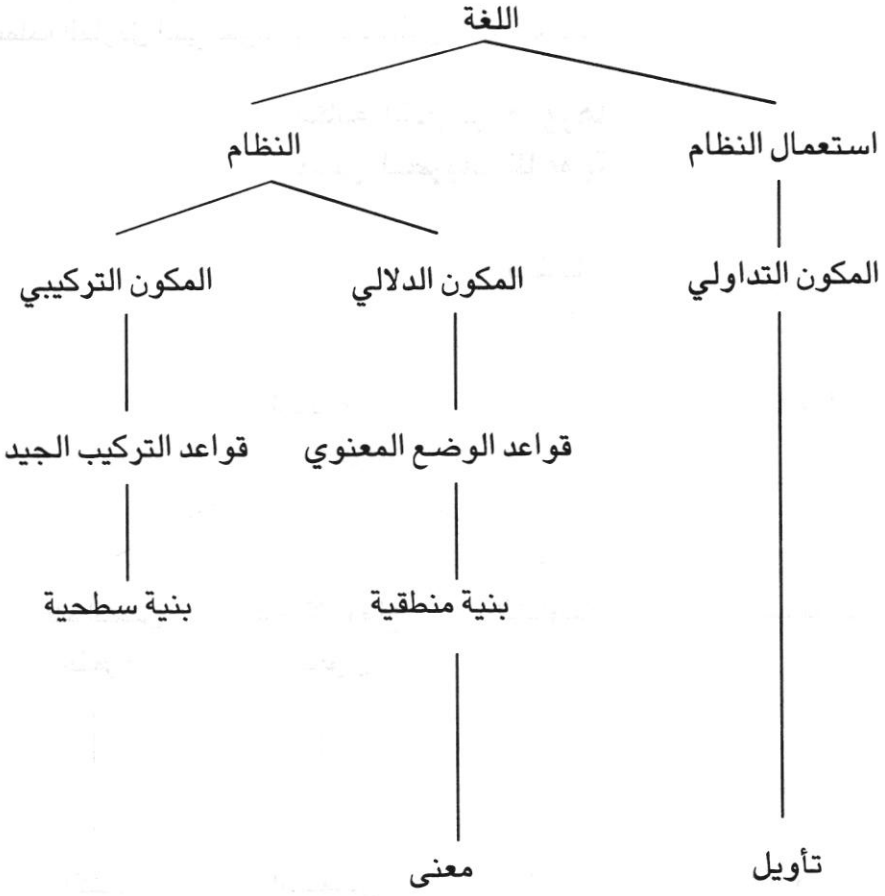

يوضح هذا الرسم مستويين في متناول اللغة: مستوى النظام ومستوى استعمال هذا النظام.

النظام يتكون من مكونين تركيبي ودلالي، يولدالمكون التركيبي بناه السطحية بفعل قواعد التركيب الجيد أما المكون الدلالي فيفرع بناه المنطقية

بفعل قواعد التفريغ الدلالي، تلك البنى تكتسي معنى ليس هو دلالة القول الناتج عن عملية الحديث أو التلفظ نستنتج من ذلك أنه ينبغي أن يكمل بإضافة المعنى التداولي أو دلالة القول وهذا الذي يضطلع به المكون التداولي أثناء عملية التأويل التي يقوم بها المتكلمون أثناء الحديث

مكانة التداولية ودورها ضمن النظريات اللغوية

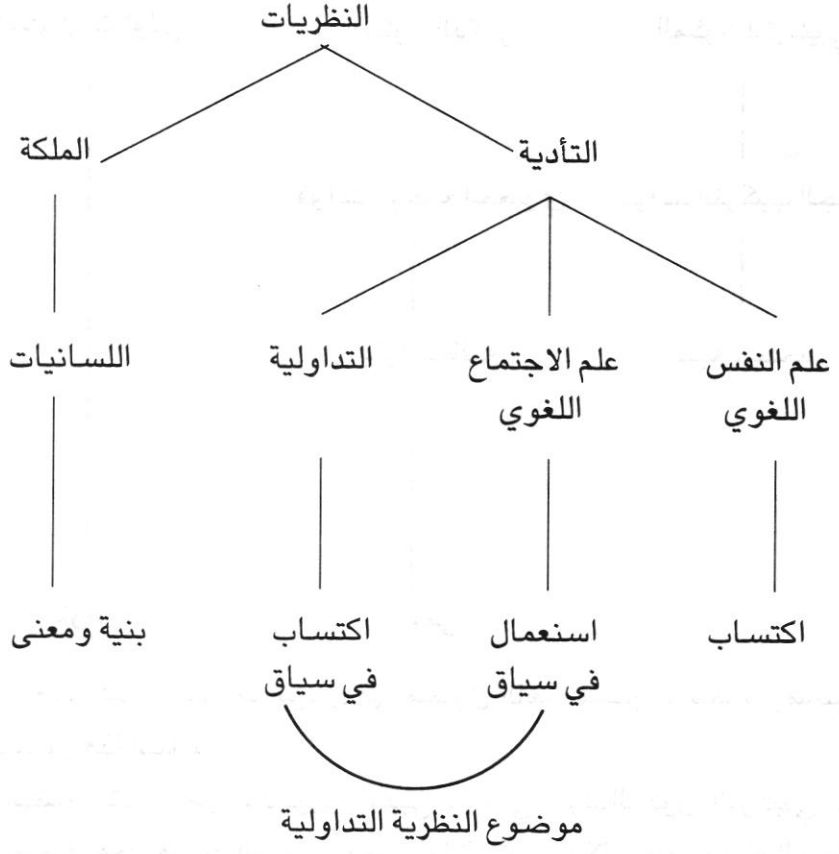

في إطار النظريات ذات المنحى التشومسكيي، تفصل التداولية نظرية التأدية عن اللسانيات ومهمتهاوصف الآليات غير اللغوية لتأويل الأقوال من جهة ومن جهة أخرى وبصفتها مجال نظري خاص تشخص العلاقة الموجودة بين موضوع اللسانيات (البنية والمعنى) وظواهر التأدية.

الخلاصة

وإن كان لابد من خلاصة فإننا نقول إن الظواهر التي تهتم بها التداولية –وهي بهذا الاعتبار مادة "إصلاحية" – هي التي لايعالجها لاعلم التراكيب ولا علم الدلالة، ظواهر متنوعة متعلقة باستعمال اللغة في مقام ما وكذلك بمسائل إسناد المرجع وإدراج القوة الإنجازية... إلخ

ينبغي إذن التخلي عن مشروع يروم إلى إدراج التداولية ضمن اللسانيات بل ينبغي وضع قاعدة لتداولية قادرة على التفاعل مع اللسانيات للوصول إلى تحليل شامل لظاهرة إحداث الكلام وتأويله.

الهوامش:

* يبدو أن طه عبد الرحمان هو الذي اقترح هذا المصطلح وأن أحمد المتوكل تبناه.

(1) – بيرس Pierce عالم منطق أمريكي لم تجمع كتاباته إلا بعد الثلاينيات في مولف بعنوان Collected papers لم يترجم إلى الفرنسية إلا سنة 1978 (أنظر القائمة المرفقة)

(2) – بنفينيست Beveniste لغوي فرنسي توفي في أواخر العقد الماضي.

(3) – أوستن Austin فيلسوف إنجليزي من أقطاب المدرسة التحليلية.

(4) – كربرات أوريسكوني Kerbrat-Orrechioni، لغوية فرنسية تدرس بجامعة ليون قد اقتبسنا قولها بتصرف بسيط من مؤلفها L'énonciation de la subjectivité dans le language.

(5) – سورل Searle تلميذ أوستن هو الذي أرسى قواعد نظرية أفعال الكلام.

قائمة المصطلحات

Structure	بنية
Structure de surface	بنية سطحية
Structure logique	بنية منطقية
Performance	تأدية
Pragmatique	تداولية/ تداولي
Enonciation	حديث/ تلفظ
Contexte linguistique	سياق (لغوي)
Contexte extra-linguistique	سياق (مقام/حال)
Sémiotique	سيميوتيكا
Syntaxe	علم التراكيب
	علم الاجتماع اللغوي
	علم الدلالة
Psychologie	علم النفس اللغوي
Règles de bonne formation	قواعد التركيب الجيد
	(أو الإستقامة النحوية)
Règles de bonne compostion	قواعد الوضع المعنوي
	(أو قواعد الاستحسان المعنوي)
Enoncé = Phrase=Proposition	القول/ الجملة/ القضية
Acte Illocutoire	فعل إنجازي
Acte Perlocutoire	فعلا علائقي
Acte de parole/Actes de parole	فعل الكلام/ أفعال الكلام
Acte Locutoire	فعل لغوي
Acquistion	اكتساب
Parole	الكلام

Ambiguité	اللبس
Langue	اللغة
Référence	المرجع
Signification de la phrase	معنى/ دلالة الجملة
Sens de l'énoncé	معنى/ دلالة القول
Compétence	الملكة
Composant syntaxique	المكون التركيبي
Composant pragmatique	المكون التداولي
Composant sémantique	المكون الدلالي
Système	النظام

بيبليوغرافي موجزة

- Anscombre J.C/ Ducroit O (1983), *l'argumentation dans la langue*, Mardaga, Paris.
- Austin J. L (1979), *Quand dire c'est faire*, Le Seuil, Paris, traduction de l'original How to do things with words, paru en 1962
- Benveniste (1966), *Problèmes de linguistique générale*, Tome 1, Gallimard, Paris.
- Benveniste (1974), *Problèmes de linguistique générale*, Tome 2, Gallimard, Paris.
- Ducrot O (1972), *Dire et ne pas dire*, Editions de Minuit, Paris.
- Ducrot O (1980), *Les mots du Discours*, Editions de Minuit, Paris.
- Ducrot O (1984), *Dire et le dit*, Editions de Minuit, Paris.
- Ducrot O/Schaeffer.F.M (1995), *Nouveau Dictionnaire Encyclopédieque de Sciences du Language*, Le Seuil, Paris.
- ELUERD R (1985), *La pragmatique Linguistique*, Nathan, Paris
- Grice H (1979), «Logique et conversation» in *communications*, n° 30.
- Kerbrat- Orecchioni C, (1980), *L'énonciation de la subjectivité dans la language*, A. Colin, Paris.
- Maingueneau D (1996), *Les termes clés de l'analyse du discours*, le Seuil, Paris.
- Marconi D (1997), *La philosophie du langage au vingtième siècle*, traduit de l'Italien par M. Valensi, Les éditions de l'éclat, Paris.
- Moeschler. J/ Reboul. A (1994), *Dictionnaire Encyclopédique de Pragmatique*, Le Seuil, Paris.
- Pierce CS (1978), *Ecrits sur le signe*, rassemblés, traduits et commentes par G. Deledalle; Le Seuil, Paris.
- Searle.J.R. (1972) *Les actes de language*, Herman, Paris, traduction de Speech Acts, paru en 1969.

- Watzlawick.P et al (1972), *Une logique de la communication*, Le Seuil, Paris, traduit de Pragmatics of human communication, 1987.

- Wittgenstein L (1993), *Tractatus logico-philosophicus*, Gallimard, Paris, traduction de l'ouvrage paru sous le même titre en 1922.